في الأدب الانجليزي

٤ ـ الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيري حماد

الأشباح : Ghosts

تشمل الأشباح التي وردت في روايات شكسبير نوعين مختلفين : أشباحاً مرئية وأشباحا غير مرئية . أما الأشباح المرئية فهي التي في استطاعة كل شخص أن يراها ويبصرها . وأما الأشباح غير المرئية منها فهي التي اختفت عن أعين الجميع إلا عن أعين بطل الرواية

استعمل شكسبير نظرية الأشباح في عدد غير قليل من رواياته ومؤلفاته ، فهناك شبح في رواية الملك ريشارد الثالث لم يره إلا ريشارد وريشموند ، وهناك شبح آخر في رواية يوليوس قيصر يعجز الخدم عن رؤيته بينما يظهر جلياً لبروتس . وفي رواية سمبالين أشباح متعددة تظهر لبوشيموس في سجنه في حالة لا يراها الحرس والسجانون

وكانت مخاطبة الأشباح تقتصر على نفر قليل ممن كانت لهم قوة التنبؤ والاستنباط ، فكان في استطاعتهم أن يوسلوا الأرواح في مهماتهم الخصوصية . وقد ذكرهم شكسبير في كثير من رواياته كرواية سمبالين ورواية يوليوس قيصر بقوله : « قد استطعت التغلب على روحي الخفية بواسطة حيلك السحرية » وفي رواية (All'is Well That Ends Well) بقوله : « هل يوجد هناك من مشعوذ يستطيع أن يزيل ما أمام عيني من الشك »

وهذا النوع من الرجال كان ينتظر منه الالمام باللغة اليونانية واللاتينية والاضطلاع الواسع على الآداب القديمة . وتظهر لك هذه الميزة جلياً في رواية هملت عند ما يظهر الشبح ، فيقول مارسيلوس مخاطباً هورايتو : « إنك متعلم ومطلع على الآداب ، ولذا وجبت عليك مخاطبته يا هورايتو »

ويصحب ظهور الأشباح عادة تغيير في الأنوار ، فنرى ريشارد الثالث يشعر بتغير في الأضواء قبل ظهور الشبح ؛ وفي رواية يوليوس قيصر نرى نفس الظاهرة بجلاء ووضوح ، فيرى بروتس تغيراً في ضوء الشمعة يسترعي انتباهه ويهتف قائلاً : « ما لهذه الشمعة قد شحب ضوؤها ؟ من القادم ؟ »

وتظهر الأشباح بصورة عادية مرتدية نفس الملابس التي كان أصحابها يرتدونها قبل موتهم . ففي رواية هملت يظهر الشبح بنفس الأردية التي كان يرتديها الملك قبل وفاته ، وهذا ما دعا هورايتو إلى الهتاف قائلاً : « إنه ليشبه والدك تمام الشبه مرتدياً نفس الملابس والأسلحة التي كان يرتديها قبل وفاته ؛ وفي رواية مكبث يظهر شبح بانكو بنفس الحالة التي وجد فيها قبل وفاته لساعات قليلة

ولهذه الأشباح طبائع غريبة وأخلاق شاذة ، فهي لا تستطيع احتمال الأسئلة الكثيرة بل تهملها . وفي رواية هنري السادس نرى الشبح وقد ضاق ذرعاً بالأسئلة الكثيرة التي وجهت اليه فأجاب سائله بقوله : « اسأل ما بدا لك ولكني لا أجيب إلا عما أريد الاجابة عنه »

وكانت الأشباح تفضل الصمت على الشغب والضوضاء ، ولذا نرى بروسبيرو يطلب الهدوء التام عند ظهور الأشباح . وتختلف هذه المخلوقات الغيبية عن سابقتها بكونها لا تستطيع الظهور مطلقاً إلا عند سدول الظلام ، فلا يظهر الشبح في رواية هملت إلا بعد غروب الشمس ؛ وعندما يشعر باقتراب النهار يفر مسرعاً إلى عالمه العلوي . فالنهار والضوء عدوان لدودان للأشباح

قال جيبسن في ختام بحثه عن الأشباح : « إن المهارة والمقدرة التي أظهرها شكسبير في تصوير الأشباح لما يؤكد لنا اعتقاده الجازم بها [1] » وهذا الحكم الذي يصدره ناقد معروف كجيبسن لجدير بالتفكير والبحث . نعم إن شكسبير لم يوفق في بحثه عن الأشباح وتصويرها كما وفق في الساحرات والجنيات ؛ فخياله المبدع الذي رأيناه سابقاً لا نشاهده في الصورة الحالية ؛ وقد يكون هذا النقص ناتجاً عن عدم اعتقاده بالأشباح ؛ خصوصاً وأن الرجل لا يحسن ما لا يؤمن به ويعتقد فيه ، فكان بحثه تعوزه المقدرة ، وينقصه الخيال الواسع والفكر العميق

(1) Gibson. Sh's use of The Supernatural P. 31

العفاريت : Devils

كان من السائد على معتقدات الناس فى ذلك العصر أن العفاريت هم من سلالة الآلهة القُدامى . وما عفاريت شكسبير إلا صور مصغرة من آلهة الرومان واليونان والفلسفة الشمالية ، فهم مصدر شقاء وينبوع آلام . نعم إن مقدرتهم لم تصل الى تلك الدرجة من القوة التى وصلت اليها مقدرة الساحرات ، ولكنهم رغماً عن ذلك كانت لهم القدرة الكافية على الاختفاء بالشكل الذى يريدون

وفى رواية تايمون أثينا (Timon of Athens) نرى وصفاً مسهباً لهذا النوع من العفاريت عند ما يتكلم المهرج قائلاً : « إنها روح شريرة تظهر مرّة بشكل سيد من الأسياد ، وأخرى بشكل محامٍ بارع ، وثالثة بشكل فيلسوف شهير »

وكانت فى بعض الأحيان تتخذ لها وسيطاً من بنى البشر ، فيكون لمن من روحه مكاناً يقمن فيه ، ويعامل هذا الرجل (المسكون) عادة أشد المعاملة وأقساها ، فهو عرضة للشتائم وشتى أنواع العـــذاب والهوان . وفى رواية (مهزلة الأخطاء) (Comedy of Errors) نرى بنسن يخبر خليلته بأن زوجها وخادمه قد أصابهما مس من الجنون ، وأن العفاريت قد اتخذت من روحيهما مسكناً مريحاً ، فمن الواجب إذن القبض عليهما وايداعهما حجرة مظلمة

وفى حديث غرامى بين روزاليند وعاشقها رولاندز فى رواية (كما تريد (As You Like it)) نرى الفكرة نفسها واضحة جلية ؛ فهى تقول له : « إن الحب جنون ، وما العاشق إلا مجنون يجدر به أن يكون حبيس غرفة مظلمة لا يدخلها الضوء ؛ ولكن المحب لا ينزل به هذا النوع من العقاب ، لأن الحكام والقضاة قد كانوا فى نفس الحالة يوماً ما ، ولذا كان من الواجب مداواته بالنصيحة والمشورة »

يندر أن تجد عفريتاً من هذه العفاريت يظهر بشكله الحقيق على مسرح شكسبير ؛ ولا أذكر فى رواياته كلها غير مرة واحدة تراءى العفريت فيها للنظارة ، وهذه المرة تقع فى رواية هنرى السادس عند ما تدخل العفاريت المسرح بعد إلحاق شديد من الساحر (لابوسيل) ، فيقومون بأعمال كثيرة تعد فى حكم المستغربة الشاذة ، فيدخلون دون أن ينطقوا بأية كلمة ، ومن ثم يلقون برؤوسهم الى الأسفل ، ثم يرفعونها مرة ثانية ويغادرون القاعة حيث لا رجعة بعد ذلك

من هذه الأعمال الغريبة التى كان العفاريت يقومون بها نستنتج أن هـذه المخلوقات تعد من أغرب أنواع المنيات ، وتختلف عن سائر الأنواع الأخرى باختفائها الدائم فى الهواء ؛ وقد ختم جبسن بحثه عن العفاريت بقوله : « إن شكسبير لم يهتم بهذه المخلوقات اهتمامه بالأنواع الأخرى المشابهة لها ؛ وإن معاملته الشاذة لها الجديرة بالاستهزاء بدل الاجلال والتقدير [1] » وهذا الحكم على درجة كبيرة من الصحة والصواب ؛ فلا نجد هنالك إلا عددا قليلاً من الأماكن التى يأتى ذكرها فيها ؛ ولو فرضنا جدلاً أن شكسبير ذكرها فى عدة أماكن لرأينا أن ذكره لها لا يتجاوز عـددا من الأسطر ؛ ثم يتركها على ألا يعود اليها ثانية . ومن هـذا يظهر جلياً أن شكسبير كان يحتقر هذا الاعتقاد فى العفاريت فلم يولها جانباً من اهتمامه

(يتبع) منيرى حماد

(1) Gibson. Sh's Use of the Supernatural P. 33

قسم البلديات
قلم التنظيم

تقبل العطاءات بقسم البلديات حتى ظهر يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٥ عن إقامة كشك للموسيقى من الأسمنت المسلح بمفاغه

وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات مقابل ٥٠٠ مليم ، وتقدم العطاءات داخل مظاريف مختومة بالجمع الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها . وكل عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخراً لا يلتفت إليه